جامعة عين شمس
كلية البنات

# حكايات الحيوان فى المصر الجاهلى

باشراف الاستاذ الدكتور أحمد كمال زكى

رسالة مقدمة من الطالبة
عزة محمد بدوى الفنام

للحصول على درجة الماجستير
من قسم اللغة العربية

١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م

## فهرست الموضوعات


ص

جـ

مقدمـــــة

أسباب اختيار الموضوع ـ تحديد فترة البحث ، منهج الدراسة ،
أهم الصعوبات التى صادفت البحث ، وأهم المراجع . ١ ـ ٢٠

الفصل الأول

مصادر الحكايات الحيوانية ٢١

١ ـ الحيوان للجاحظ ٢٤
٢ ـ حياة الحيوان الكبرى ٢٨
٣ ـ عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ٣٥
٤ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر ٤١
٥ ـ كتب اللغويين ٥٠
٦ ـ كتب عامة ٥٦
٧ ـ الأمثال ٨٠
٨ ـ الأشعار ٨٥

الفصل الثانى

الاطار العام لحكايات الحيوان فى النثر ٩٠

١ ـ سجع الكهان ٩١
٢ ـ الخطابة ١٠٠
٣ ـ القصص ١٠٥
٤ ـ الأمثال ١١١

الفصل الثالث

الاطار العام لحكايات الحيوان فى النظم ١١٥

١ ـ مطالع القصائد ١١٦
٢ ـ رحلة الشاعر ١٢٤ : الى الممدوح ١٢٤ والى الصيد ١٣١
٣ ـ مقطوعات الصعاليك ١٣٦
٤ ـ قصائد الرثاء ١٤٣
٥ ـ موضوعات أخرى ١٥٣

الفصل الرابع

الاطار العام لحكايات الحيوان فى القرآن الكريم ١٧٩

١ ـ قصص الترغيب والترهيب ١٨٣
٢ ـ قصص الأمثال ١٩١

ص

٣ـ قصص الاقناع وبيان العبرة ١٩٥

٤ـ قصص التحدى واقرار المعجزة ٢٠١

---

الفصل الخامس

قيمة الحكاية الحيوانية ٢٢٣

١ ـ الصورة العامة ٢٢٣

٢ـ القابولا فى الخيال اللاشعورى ٢٣١

٣ـ قيمة الخيال اللاشعورى ٢٣٧

٤ـ الرصيد الحضارى ٢٤٠

٥ـ رموز الحكاية الحيوانية ٢٤٧

خاتمة ٢٥٢

المراجع ٢٦٧

" بسم الله الرحمن الرحيم "

## مقدمة

( ١ )

نهضت الى هذا البحث ، مزودة برغبة صادقه ، واعجاب بالغ بحكايات الحيوان ، فلقد ولعت منذ طفولتى بهذا النوع من الحكايات وخاصة بالنوع الذى يظهر فيه الحيوان ناطقا مفكرا كالانسان ، وقد بدا لى أن تلك الفكرة يمكن أن تكون موضوع أطروحته ، فأمس جانب القصص عند العرب القدماء ، وأحلل قصص الحيوان فى حياة الجاهليين . ولما كانت القصة فنا من الفنون التى أراد أغلب الباحثين سلبها العرب الجاهليين فقد اتضح لى أن قصة الحيوان تستطيع أن تكون ردا على هؤلاء الباحثين وتظهر الحقيقة التى تقرر أن العرب لم يكونوا شعراء ولا خطباء فقط ، ويصبح من الضرورى أن يعاد تقويم الحياة الجاهلية من جديد ، وبخاصة أن الدراسات المتأخره كشفت عن أنه كان للعرب أساطير وحكايات خرافيه متعدده .

ومن هنا شرعت أقرأ فى هذا الموضوع بادئه بالكتب التى تعنى بالأسطورة وهذه كانت من التنوع واختلاف وجهات النظر بحيث أوقعتنى فى كثير من الحرج ولما أضفت إلى هذه الحصيلة حصيلتى من قراءة كتب المعتقدات العربية القديمة التى قدمتها كتاب ديتلف نيلسن " التاريخ العربى القديم " وكتاب الدكتور جواد على " تاريخ العرب قبل الاسلام " أقول لما فعلت ذلك ، تضاعف حرجى ، وإن أكن احسست الحافز أكبر فضلا عن أن معالم الطريق أخذت

تلوح على نحو أفضل . يشد من عزمى عدد من الكتب أرى من الواجب الاشارة اليهـــا .

أولها كتاب للدكتور محمد عبد المعيد خان واسمه " الأساطير العربية قبل الاسلام " وفيه محاولة علمية جادة لتفسير الأسطورة عند العرب . وكان ذلك يعنى أن العرب لم يختلفوا عن غيرهم فى عصر بداوتهم . كما رأيت فصلين طيبين عن أساطير الحيوان وحكاياته . وربط هذه بما قدمه عن تعريف للأسطورة ووضعها الحضارى وقيمتها الفنية .

ومن هذه الكتب " الأساطير دراسة حضارية " للاستاذ الدكتور أحمد كمال زكى . رأيت فيه مادة ذللت لى مجموعة من المعقبات وفسرت لى جوانب لم أكن وحدى قادرة على تذليلها . والحق أننى جعلته ملجأ دائما .

وينبغى أن أذكر أيضا كتابا لا أظن أنه متداول كثيرا ولكنه فى نظرى من الكتب الرائدة فى قصص الحيوان . وهذا الكتاب هو " قصص الحيوان فى الأدب العربى " للمرحوم الدكتور عبد الرزاق حميدة . رأيت فيه جهدا صادقا فى المجال الذى يمكن أن أتحرك فيه . ولئن كان الكتاب فى جملته يستغرق العصور العربية فى جملتها — فيغلب عليه التسجيل — فقد عرض لحيوان العصر الجاهلى . فقوم ما استطاع من قصصه . وفى الوقت نفسه أشار إلى مراحل علاقة العربى القديم بالحيوان على أساس " الحيوانية " و " الطوطمية " فاقترب من هنا من الدكتور محمد عبد المعيد خان . وانتفعت بعض ما صدر عنه فيما يختص بالأساطير وبعض الخرافات .

ومن المصادر القديمة " عجائب المخلوقات " للقزويني ، نفس فيما أوردته عن المسوخات والكائنات الغريبة الشاذة ، وجعلته في مصاف " مسخ الكائنات " الذي ألفه أحمد اللاتيني قبل القزويني بنحو ألف عام .

ومنها أيضا كتاب " مروج الذهب " وكنت على اعتقاد أن هذا الكتاب لا يهتم الا بالمادة التاريخية المحققة فلما خلصت له رأيت كيف أن المتقدمين لم يستطيعوا أن يفصلوا بين ما هو كائن فعلا وما يمكن أن يكون ، بل رفضوا التفرقة بين الحقيقة والوهم واعتبروهما جانبين متكاملين للحياة ولعل الجزء الاول كان من أروع ما قرأته ويدخل في مجال بحثي ، وبخاصة انني قصرت هذا البحث على ما يسمى بجاهلية العرب ، ونشط هو الى هذه الحقبة التاريخية فرصد عشرات الروايات بل المئات منها ليقول شيئا هذ قديم وأريد أنا اليوم أن أردده . وكم انتفعت فيما صدر عنه عن الغيلان والسعالي والقرده ، وكم كان حديثه ينال مني وهو يجعل هذه المخلوقات تضرب فيما يضرب فيه البشر بحيث لا يكون هناك ما يميز جنسا عن جنس .

ولقد وقف المسعودي في الوقت نفسه عند بعض العبادات الجاهلية القديمة فلما قرأت " التاريخ العربي القديم " الذي أشرف يوليوس فلهوزن على تحريره واصداره ، انفتحت لي مجالات الصعود بالحيوان الى السماء واذا مجموعة كبيرة من النجوم والكواكب تشكل عالما حيوانيا له قدسيته ، وللعرب فيه مآرب وغايات ووسائل اتصال به وعمليات تقويم له . وهكذا يتعاون القديم مع الجديد لبلورة الصوره التي دأبت على الطمس في تحقيقها !

ومن الكتب القديمة التى لفتتنى وأفدت منها كتاب " حياة الحيوان الكبرى " للدميرى .. صحيح أننى لم أجد فيه مثل ما وجدت عند المسعودى الا أن المادة الحكائية فيه كانت تعطينى البداية دائما ، وكانت تردنى الى المرحلة التى أدرت عليها بحثى كله .

وعلى هذا النحو كان رصيدى من القراءة يزداد ، وكانت توجيهات الاستاذ المشرف تعمل عن تنسيقه ووضع أزاميره حيث يقتضى أن توضع ، وفى الوقت نفسه كان للآراء الشخصية التى يصدرعنها واحد كالجاحظ أو ثعلبان كالثعلبى أو ثالث كالاصفهانى — بجانب آراء المحدثين القيمة — كان لهذه أثرها فى اشاعة الأمان بنفسى ، وربط ما تفرق من المادة تحت مفهوم ووجهة نظرى .

( ٢ )

تلك القضية .....

وأما القضية الأخرى فقد كان أساسها عنوان البحث " حكايات الحيوان فى العصر الجاهلى " فهناك فترة حددها فى حياة العرب الأولين ظهور الدعوة الاسلامية بنزول القرآن الكريم وتقيده ، ثم هناك اصطلاح فنى أعلم أن الدارسين يختلفون فى تقويمه ، وهو « الحكاية » وذلك على الرغم من أننا — نحن الدارسين البادئين — نظن أن هذا الاختلاف شكلى لأن المدلول واضح ، وهو الحدث الذى يمر حادثه بطريقة ما ، وأجمل

ما تكون هذه الطريقة اذا أثارت التلقى أو أدهشته أو هدته سبيله .

ومن ذلك فقد هدانى تفكيرى — بعد أخذ الرأى — الى أنه يمكن الادلاء بتصورى على قاعدة يدعمها المنهج العلمى المحدد . وبناء على هذه السلمة البسيطة قسمت بحثى الى خمسة فصول كل منها يمكن أن يكون مقدمة لما بعده ، غير أننى حرصت على اثبات " مدخل " فى الصور أفضى فيه بما عندى ويتصل بالقضية الأولى ، وأعنى الفترة وما تشتمل عليه من تصور ضاعت معالمه بين القدماء وأغلب المحدثين .

ولقد تحدثت فيه عن الواقع العربى فى العصر الجاهلى لأناقش مدلول كلمة " جاهلى " أو " جاهلية " ولهذا كان لا بد أن أبسط الحديث عن حياة العرب الأولى ، ابتماعيا ، وسياسيا ، وعقليا ، وعقديا . وفى الوقت نفسه رأيت أنه لا بد من تحديد ذلك بوعى كما أراه ، وهو أن العرب لم يكونوا فى عزلة عن العالم كما يزعم أغلبنا .

وأما الفصل الأول فيتناول المصادر التى وجدت فيها عالم الحيوان وخرافاته ، وقد رأيت من الكتب القديمة ما اقتصر على ذكر الحيوان وأوصافه وبعض المرويات عنه . وفى مقدمة هذه الكتب حيوان الجاحظ ، وحياة الحيوان الكبرى للدميرى ، وعجائب المخلوقات للقزوينى وان يكن هذا المصدر الأخير أكثر ثراء فى مجال الحكاية بالمفهوم الذى اعتمدته وهو احتواء كل حكاية على شىء طريف " و " نادر " وعلى أن الحكاية نفسها تحمل ملمحا حضاريا

أو أكثر ، ففى الوقت نفسه تدل على عناية ملحوظة بسرد القصص عن الكائنات الغريبة التى تختلط بحياة البشر وتكوينهم الخلقى وسلوكهم الأخلاقى أيضا .

وهناك مصنفات النوادر بعد ذلك ، وهى فى اللغة خاصة ومن أشهرها كتاب الخيل ، وكتاب الابل لكل من أبى عبيدة والأصمعى وهذه كانت مجرد علامات لى على الطريق .

ثم هناك كتب الأمثال ، كأمثال الميدانى وهى فى الحق مليئة بالحكايات التى تستهدف غايه أخلاقيه أو قيمة انسانية .

وأخيرا وجدت مجموعة من المصادر متنوعة الموضوعات أهمها كتب المحاضرة ونوادر الأخبار ، وهى كثيرة الاستطراد ، متعددة الفنون ، وكان على أن أختار منها بعناية بحثى ، وأهم هذه الكتب " كتاب الأمالى " لأبى على القالى ، و " محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء " للراغب الأصفهانى ، و " الموشى أو الظرف والظرفاء " لأبى الطيب محمد بن اسحاق ابن يحى الوشاء ، و " المستطرف فى كل فن مستظرف " للأبشيهى و " عيون الأخبار " لابن قتيبه ، وكلها كانت عظيمة الجدوى ، ورأيت بهذا أن أفرد كل مصدر منها بحديث على حدة ، بينت فيه مناسبه استخدام الحيوان وطريقة الكاتب فى تحويله لحكايته .

وأما الفصل الثانى فقد عرضت فيه للاطار العام لحكايات الحيوان فى النثر ، وكان على أن أتتبع أنواع النثر فى العصر الجاهلى ، فوجدت من أشهرها سجع الكهان ، والخطابة ، والقصص ، والأمثال ، وباستيفاء العرض تقدمت الى الشعر وذلك فى الفصل الثالث ، وقد جعلت عنوانه الرئيسى " الاطار العام لحكايات الحيوان فى النظم " وقد اتسع فيه مجال القول ، حيث تناولت الحيوان فى مطالع القصائد ، وقوت ظاهرة الوقوف على الاطلال فنيا ، ثم رحلة الظعن وعقبت على ذلك بورود الحيوان فى الرحلة ، أقصد رحلة الشاعر الى الممدوح وما يتعرض له بحيوانه من متاعب وأهوال الطريق ، ثم رحلة الشاعر الى الصيد ، والحق أننى وجدت أيضا طائفة من الحكايات الحيوانية عند شعراء الصعاليك الذين تشردوا فى الصحراء ، وألفوا الحيوان وارتبطوا به ، كذلك وقفت عند قصائد الرثاء ولا سيما عند الهذليين ، لأنهم اتخذوا الحيوان فى قصصهم وسيله ليبينوا غدر الدهر ومحاولة القدر فى التربص بالانسان كى يفتك به أو يقضى عليه ، كذلك وجدت قصصا مظلومة تعنى بالمعبودات اللواهية وتعتمد المعتقدات القديمة التى يمكن أن تشكل قصصا يقوم الحيوان فيها بدور بارز ، ومن هذه قصة فيل أبرهه ، وقصة حية آدم وحواء ، وقصص أخرى وعظيه ربما كانت فيها جوهر الخرافة الأخلاقى ، فتتفق من هذا فى خزعها العام بالخرافة عند الشعوب الاخرى كالهنود واليونان .

وقد اعتمدت في هذا الفصل على دواوين الشعراء أساسا ، ورأيتهم أن الشعر سجل حياة القدماء كما ورد لبيئتهم وتجاربهم ، ومن ثم فهو صدق من قرأن الشعر كان ديوان العرب وسجل أيامهم .

وأما الفصل الرابع فقد خصصته على " الاطار العام لحكايات الحيوان في القرآن الكريم " وبذلت جهدي في تتبع القصص الحيوانية في كتاب الله ، وظهر أن حكاية الحيوان بوجه عام كانت هادفة ، كما كانت محدودة الوقوع ، واعتمدت الشورى الأخلاقي على نزول الخلق ، حتى وهي تشترك "المعجزة" الالهية ، وختمت الفصل باحصاء وما كان الأول من نوعه على ما سيظهر فيما بعد ، ثم وقفت على هذا الاحصاء بتقويم فتبين اتضاح أن اوازن فيه بين الحكاية الحيوانية في القرآن الكريم والحكاية الحيوانية في الكتاب المقدس ، ذلك أن كثيرا من الدارسين يرون أن ما في القرآن الكريم بمثابة لما أوردته التوراة ، وأردت أن أتول ان ما نزلت به آيات الله على المسلمين كان بمقصد التداوي من الشوائب الجاهلية ، أعداد القرآن الكريم صياغتها على نحو يفيد دعوته ويؤكدها .

وأما الفصل الخامس والأخير فهو " قيمة الحكاية الحيوانية " وتحدثت فيه على أن ابين الصورة العامة للحكايات ، وانقلبوا في الخيال المحسوس ثم أوضحت قيمة الخيال المحسوس ، والرصيد الحضاري ، ثم تناولت رموز الحكاية الحيوانية .

وأخيرا أرى لزاما على أن أتقدم بالشكر لأستاذى الأستاذ الدكتور أحمد كمال زكى الذى أشرف على اخراج هذا البحث ، وأعاننى بكل ما احتجت فيه من العون كما أتقدم لاستاذى الدكتور مصطفى الصاوى الجوينى بوفير الثناء على قبوله قراءة هذا البحث فاقصا وحكما فيه وأما الدكتور ابراهيم عبد الرحمن الذى تفضل فقبل مناقشتى فانه يشرفنى أن أكون واحدة من الذين تحظوا أن يظفروا بالتقرب اليه كما أود أن أتقدم بخالص شكرى للدكتور يوسف نوفل ، مع ملاحظاته القيمة ، وحقق الله الأمنيات فله منى عظيم العرفان والتقدير ..

والله الموفق ،

## مدخـــــل

## الواقع العربى فى العصر الجاهلى

## ( ١ )

العصر الجاهلى تصوّر حضارى لحياة عربية قديمة اختلف الدارسون حول أمين فيه :

الأول زمنه ، برغم أنهم يتفقون على أن ذلك العصر ينتهى بقيام الدعوة الاسلامية تحت راية القرآن الكريم ، وقد ظهر فى تفسير المسلمين للآية الكريمة : " ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى "(١) أن هناك جاهلية أولى ربما تكون موغلة فى القدم إلى تلك المراحل التاريخية أو ماقبل التاريخية ، حتى يهتم بها دارسو علم الانسان anthroplogy ، وقد انتهت هذه الجاهلية الأولى باندثار أقوام عرب أطلق عليهم أسماء عدة منها عاد وثمود وطسم وجديس وأصحاب الرس وجرهم الأولى .

ويرى الدارسون أن هؤلاء كانوا يحتلون المناطق الشمالية من شبه الجزيرة العربية ويسمون العرب العاربة أو العرب البائدة ، وهم أنفسهم الذين ذكرهم ابن خلدون بقوله " وكان لهذه الأمم ملوك ودول فى جزيرة العرب وامتد ملكهم فيها إلى الشام ومصر — فى شعوب منهم — ويقال إنهم انتقلوا إلى جزيرة بالقرب من بابل لما زاحمهم فيها بنو حام فسكنوا جزيرة العرب بادية مخيمين "(٢) .

---

(١) سورة الأحزاب : ٣٣ .

(٢) تاريخه المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر ١/ ٢٨ ( طبولاق بدون تاريخ ) .

وكان ابن خلدون قد نقل ذلك عن عدة من مؤرخى الاسلام منهم ابن سعيد الأندلسى فى " نشوة الطرب فى أخبار جزيرة العرب "(١) والهمدانى فى " الاكليل "(٢) والكتابان مما يقدمان صورة مشوقة لعرب عرفوا المدنية كما عرفوا البداوة . وفى كل من المدنية والبداوة كانت هناك ثقافة وعبادات ، تكشف عن وضع متعقد لايمكن تحديد أطرافه أو سبر أغواره الا بدراسات مقارنة ، يدخل فيها شعوب ايران ومصر والهند والطورانيين ، وفيها يكون الجنس السامى بشعوبه الآرامية والكنعانية والفنيقية والعمورية والكلدانية موضع الاهتمام الشديد(٣) .

ويكفينا جورجى زيدان مشقة متابعة حضارات العصر ، لأنه بوقوفه عند " عرب الشمال فى الطور الثانى "(٤) يصل الى الجاهلية الثانية

---

(١) هناك نسخة مصورة يقوم بتحقيقها الدكتور أحمد كمال زكى ، وقد نقل منها ابن خلدون ذلك النص الذى قرأناه فى العبر .

(٢) هذا الكتاب فى عدة أجزاء عثر على الثامن منها فنشره محمد نبيه فارس ثم شرعت لجنة " المكتبة اليمنية " فى طبع أجزائه الأولى التى عثر عليها مؤخرا ، والنص الذى قرأناه لابن خلدون عند الهمدانى فى أجزاء متفرقة ١ : ٧١ وما بعدها ط . السنة المحمدية ١٩٦٣ .

(٣) انظر الدكتور أحمد كمال زكى فى " الأساطير " دراسة حضارية مقارنة ص ١٥ وما بعدها ( ط . الشباب ١٩٧٥ ) .

(٤) راجع كتابه " العرب قبل الاسلام " ص ١٨٥ وما بعدها . ط . دار الهلال بتحقيق الدكتور حسين مؤنس .